

مقاربة في الدرس الصرفي بناء (تَمَفَّل) وجواز تقييسه

الدكتور ممدوح محمد خسارة(*)

١) الظاهرة:

بدأ يشيع في لغة المعاصرين أفعالٌ من مثل (تَمَرَّكز وتَمَحَوَّر وتَمَتَّرَس) وهي أفعال جاءت على بناء (تَمَفَّل)، وهو من أبنية الأفعال الملحقة بالرباعي المزيد بحرف واحد.

ويذهب بعض اللغويين والنحاة إلى أن هذا البناء ممَّا يمكن أن يُشتقَّ عليه قياساً من الأسماء المبدوءة بميم زائدة أو ما يُسمِّيهِ بعضهم بالميميَّات^(١). إلا أن بعضهم الآخر يخالفون في ذلك، أو يضعفونه، ويرون أن الفصيح هو أن يقال: (تَرَكَّز وتَحَوَّر وتَتَرَّس) وحجتهم في ذلك أن تلك الأفعال لم تُذكر في المعاجم العربية التراثية، ولأن الاشتقاق يجب أن يكون من فعل مجرد ثلاثياً كان أم رباعياً.

٢) قِدَم الخلاف حول هذا البناء:

ورد على هذا البناء عدَّة أفعال - سنفضِّل فيها بَعْدُ - مثل: (تَمَسَّكَن وتَمَدَّرَع وتَمَعَّدَد). ولكن القدماء كانوا يُشفعون هذه الأفعال بتعقيبات أو نُقولٍ

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) محمد علي النجار - الأصول في اللغة ١: ٤٧.

- تفيد عدم الاطمئنان تماماً لهذا البناء، ومن ذلك:
- جاء في تهذيب اللغة: «اللَّيْثُ: الْمَسْكَنَةُ: مصدر فعل الْمَسْكِينِ، وإذا اشتقوا منه فعلاً قالوا: (تَمَسَّكَنَ)، أي صار مسكيناً... ثعلب عن ابن الأعرابي: أَسَكَنَ الرَّجُلُ وَسَكَنَ: إذا صار مسكيناً»^(٢).
 - وجاء في لسان العرب: «وكان سيبويه يقول الميم [في مَعَدَّ] من نفس الكلمة لِقَلَّةِ (تَمَفَّلَ) في الكلام، وقد خُولِفَ فيه. وتَمَعَّدَ الرجل: تزيّاً بزيمهم أو انتسب إليهم... وكذا ذكر سيبويه قولهم (مَعَدَّ)، فقال: الميم أصلية لقولهم: (تَمَعَّدَ)، قال: ولا يُحْمَلُ على (تَمَفَّلَ) مثل تَمَسَّكَنَ لِقَلَّتِهِ ونزارتها»^(٣). أي (تَمَعَّدَ) هو تَفَعَّلَ وليس تَمَفَّلَ.
 - وجاء فيه: «تَمَسَّكَنَ، تَدَلَّلَ وَخَضَعَ، وهو (تَمَفَّلَ) من السكون، قال القتيبي: أصل الحرف السُّكُونُ... وكان القياسُ (تَسَكَّنَ)، وهو الأكثر والأفصح، إلا أنه جاء في هذا الحرف (تَمَفَّلَ)، ومثله تَمَدَّرَعُ، وأصله (تَدَّرَعُ)»^(٤).
 - وجاء في المخصص: «المَمْرَجَلُ: ضَرْبٌ من ثياب الوَشِيِّ، ميمُه من نفس الحرف [أي أصلية من نفس الكلمة] فيه صُورُ المِراجِلِ، وبهذا نَسْتَدِلُّ على أن ميم مَرَجَلٍ أَصْلٌ لِقَلَّةِ بابِ تَمَسَّكَنَ»^(٥).
 - قال ابن الحاجب: «ولم يُعْتَدَّ بِتَمَسَّكَنَ وَتَمَدَّرَعُ وَتَمَدَّلُ لَوْضُوحِ شذوذِهِ»^(٦).
 - أما الفارابي صاحب (ديوان الأدب) الذي هو معجم مختص بمعاني أبنية

(٢) الأزهري - تهذيب اللغة: سَكَنَ.

(٣) ابن منظور - لسان العرب: عدد.

(٤) ابن منظور - لسان العرب: سكن.

(٥) ابن سيده - المخصص ١: ٣٨٣.

(٦) ابن الحاجب - الشافية في علم التصريف ١: ١٨.

- الأفعال والأسماء في العربية فلم يذكر هذا البناء أصلاً.
- أي إن القدماء كانوا يتجنبون هذا البناء لقلته عندهم، وإذا ورد شيء منه، ذكروا بديلاً عنه، إذ أوردوا إلى جانب تَمَسَّكَنَ أَسَكَنَ، أو ذكروا بالقياس وهو تَسَكَّنَ.
- وقد انسحب هذا الخلاف عند القدماء على اللغويين المحدثين بين منكر وموافق:
- أنكر الغلاييني بناء (تَمَفَّعَل) في أبنية الأفعال فقال: «نحو تَمَنَطَق وتَمَسَّكَن وتَمَدَّرع وتَمَدَّنل وتَمَذَّهَب وتَمَشَّيخ... فوزنها (تَفَعَّلَل لا تَمَفَّعَل) هذا هو الحق الذي عليه المحققون من العلماء»^(٧).
 - وقال محمد علي النجار: «نحو تَمَدَّنل وتَمَدَّرع وتَمَنَطَق... هذه الأفعال تسوق إلى وزن (تَمَفَّعَل) وهو من الأوزان المرفوضة في أوزان الفعل»^(٨).
 - وبالمقابل فقد قُبل هذا البناء وأثبتته غير واحدٍ من اللغويين في أبنية الأفعال:
 - أقرّه الحملاوي وأثبتته في باب ملحق الرباعي المزيد بحرف، ومثّل له بفعل (تَمَسَّكَن)^(٩).
 - أقره عباس حسن وذكره في أبنية الأفعال فقال: «تَمَفَّعَل مثل تَمَسَّكَن تَمَسَّكَنًا»^(١٠).
 - أقرّه د. عبد اللطيف الخطيب في الملحق بالرباعي المزيد فقال: «تَمَسَّكَن وتَمَدَّنل... أي صار مسكيناً، وتَمَسَّح بالمنديل»^(١١).

ملخص القول:

-
- (٧) مصطفى الغلاييني - جامع الدروس العربية ١: ٢٢٩.
 - (٨) محمد علي النجار - في أصول النحو لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١: ٤٧.
 - (٩) الحملاوي - شذا العرف في فن الصرف: ٥٦.
 - (١٠) عباس حسن - النحو الوافي ٣: ٢٠٣.
 - (١١) عبد اللطيف الخطيب - المستقصى في علم التصريف ١: ٣٠٢. على أنه عدّه في (١: ٤١١) على بناء تَفَعَّلَل.

- أنكره بعضهم جملة وتفصيلاً كابن الحاجب والفارابي من القدماء، والغلابيني من المحدثين.
- ضَعَفَهُ بعضهم ولم ينكره، إنما وصفه بالقلّة والنزارة كسيبويه، أو بالأقل فصاحة كابن قتيبة، على ما ورد في لسان العرب.
- أقرّه بعضهم، وعدّوه في الأبنية الأصيلة في أبنية الأفعال العربية. كالحملأوي وعباس حسن وعبد اللطيف الخطيب، وهم من المحدثين.

(٣) بناء (تَمَفْعَل) في اللغة العربية المعاصرة:

ورد على هذا البناء في الاستعمال اللغوي المعاصر عددٌ وافر من الأفعال، يحضرنا منها أكثر من ثلاثين فعلاً:

- ١- تَمَرَّكَز: أقام في مَرَكز الشيء.
- ٢- تَمَوَّضَع: استقر في مَوْضِع.
- ٣- تَمَوَّطَن: استقرَّ في مَوْطِن.
- ٤- تَمَدَّدِين: أقام في المدينة.
- ٥- تَمَحَّوَر: دار حَوْلَ مِحْوَر.
- ٦- تَمَذَّهَب: اتَّخَذَ مَذْهَباً أو طريقة.
- ٧- تَمَرَّجَح: ركب المرجوحة (الأرجوحة).
- ٨- تَمَشَّوَر: مشى مَشْوَاراً.
- ٩- تَمَرَّحَلَ المشروءُ: أُنجِزَ على مراحِل.
- ١٠- تَمَرَّجَلت المرأة: تشبَّهت بالرجل خُلُقاً أو زِيّاً.
- ١١- تَمَرَّجَلَ الراكب: نزل عن الراحلة ومشى على رجليه.
- ١٢- تَمَشَّيخَ الفتى: صار شيخاً في عِلْمٍ.
- ١٣- تَمَرَّهَمَ الجُرْحُ: تَغَطَّى بِالْمَرَّهَمِ.

- ١٤- تَمْظَهَرُ: أَخَذَ مَظْهَرًا.
- ١٥- تَمْطُوحُ الدَّيْنِ: أُرْجِيءُ.
- ١٦- تَمَسَّطَرَتِ اللُّوْحَةُ: تَسَطَّرَتْ.
- ١٧- تَمَسَّمَرُ فِي مَكَانِهِ: تَثَبَّتْ وَتَسَمَّرَ.
- ١٨- تَمَهَّمَزَ الفَرَسُ: اَنْدَفَعَ فِي عَدُوهِ.
- ١٩- تَمَحَّلَسَ: تَزَلَّفَ.
- ٢٠- تَمَسَّخَرَ: فَعَلَ مَا يَثِيرُ السُّخْرِيَّةَ، أَوْ هَزِيءَ بغيره.
- ٢١- تَمَخَّطَرَ فِي مِشِيَتِهِ: تَبَخَّرَ [وَالخَاطِرُ: المَتَبَخَّرُ].
- ٢٢- تَمَرَّقَ فِي الشَّوَارِعِ: تَسَكَّعَ وَأَفْرَطَ^(١٢).
- ٢٣- تَمَعَزَزَ: أَظْهَرَ المَعَزَّةَ.
- ٢٤- تَمَرَأَى: نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ فِي المَرَاةِ.
- ٢٥- تَمَدَّأَلَ: مَشَى مَشْيَ الذَّبِّ (ذَوَالَةَ)^(١٣).
- وثمة أفعال على هذا البناء تُسَمَّعُ وتُتَدَاوَلُ، ولم ترد في المعاجم القديمة والحديثة، ومنها:
- ٢٦- تَمَنَجَلُ: حَصَدَ بِالمِنْجَلِ.
- ٢٧- تَمَفَّصَلَ: اعْتَلَقَ بغيره.
- ٢٨- تَمَدَّرَسَ: انْتَسَبَ إِلَى المَدْرَسَةِ (وهي شائعة في المغرب العربي).
- ٢٩- تَمَأَسَسَ العَمَلُ: صَارَ عَلَى غَرَارِ عَمَلِ المَوْسَّسَاتِ.
- ٣٠- تَمَعَجَزَ: تَظَاهَرَ بِالعَجْزِ.

(١٢) الأفعال من (١ - ٢٢) مصدرها معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه.
(١٣) الأفعال من رقم (٢٣ - ٢٥) من كتاب إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي
للأساتذة مروان البواب ومحمد مراياتي وحسان الطيان ويحيى ميرعلم.

٣١- تَمَنَّفَخَ: تَنَفَّجَ وَاذَّعَى بِأَكْثَرِ مِمَّا عِنْدَهُ.

٣٢- تَمَشَّكَل: افْتَعَلَ الْمَشْكَالَاتِ مَعَ غَيْرِهِ.

٣٣- تَمَكَّرَمَ: أَبْدَى أَوْ قَدَّمَ مَكْرَمَةً.

٣٤- تَمَّرَسَ: تَوَقَّى بِمِثْرَسَةٍ.

٤) بِنَاء تَمَفْعَل فِي كِتَابِ مَا بَعْدَ عَصْرِ الْاجْتِنَابِ:

ونعني بهذا العصر ما قبل العصر الحديث. فقد ولد علماء الكلام والأخبار أفعالاً على هذا البناء تهدينا إلى مصادرها. وهي:

١- تَمَحْرَقَ: جَاءَ فِي أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ لِأَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ (٢٧٧هـ): «وَيُخْلِصُكَ

مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِحِ وَالِدَعَاوِي الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَمَحْرَقُ بِهَا عَلَى النَّاسِ»^(١٤).

٢- تَمَشَّيَخَ: جَاءَ فِي الضُّوْءِ اللَّامِعِ لِلْسَخَاوِيِّ (٦٤٣هـ): «وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ

تَمَشَّيَخَ»^(١٥) وَهُوَ اسْتِقَاقٌ مِنَ الْمَشِيخَةِ أَوْ الْمَشَايِخِ، وَهُمَا مِنَ الْجُمُوعِ التَّسْعَةِ لِكَلِمَةِ (شَيْخ).

٣- تَمَنْطَقَ: لِهَذَا الْفِعْلِ دَلَالَتَانِ، الْأُولَى: شَدَّ وَسَطَهُ بِالْمِنْطَقَةِ أَيِ الْحِزَامِ.

وهي ما أورده المعاجم القديمة. والثانية: اتَّخَذَ عِلْمَ الْمَنْطِقِ وَسِيلَةً لِلْبَحْثِ، وَبِهَا أُثِرَتْ عَنِ الْقَدَمَاءِ عِبَارَةٌ: (مَنْ تَمَنْطَقَ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ). الَّتِي نَسَبَهَا مُحَقِّقُ (سِيرِ الْأَعْلَامِ) إِلَى ابْنِ الصَّلَاحِ (٦٤٣هـ)^(١٦). وَقَدْ أورد المعجم الوسيط هذا الفعل بالداليتين القديمة والمولدة.

٤- تَمَسَّخَرَ: جَاءَ فِي الْمَطْلَعِ عَلَى الْفَافِ الْمَقْنَعِ لِلْبَعْلِيِّ (٧٠٩هـ): «الْمَتَمَسَّخِرِ اسْمٌ

(١٤) الرازي - أعلام النبوة ١: ٥٦، ٦٣، والصفدي - الوافي بالوفيات ٢: ٣٤١.

(١٥) السخاوي - الضوء اللامع ٢: ١٨١.

(١٦) ابن تيمية - سير الأعلام ١: ١.

فاعل من تَمَسَّخَرَ، وهو تَمَفَّعَلٌ من سَخِرَ^(١٧)، بل الأولى أنه تَمَفَّعَلٌ من (المَسْخَرَة).

٥- تَمَصَّلَحَ: جاء في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (٨٤٥هـ):

«واستمالوا بعض من تَمَشَّيْخَ وتَمَصَّلَحَ»^(١٨)، وهو اشتقاق من الاسم (مَصْلَحَة).

٥) بناء (تَمَفَّعَل) في المعاجم العربية القديمة:

استقصينا - قدر الإمكان - ما جاء على هذا البناء من أفعال في المعاجم العربية القديمة معتمدين الصحاح والقاموس المحيط ولسان العرب وتاج العروس والمختصص، لأنها جمعت معظم المعاجم التي وُضعت قبلها كالعين وجمهرة اللغة وتهذيب اللغة، وأدّى بنا ذلك إلى الأفعال الأحد عشر الآتية:

- تَمَدَّرَع : لبس المدرعة وهي ثوب كالدرع.

- تَمَسَّكَن : أظهر المسكنة والخضوع، مشتق من مسكين أو مسكنة.

- تَمَسَّلَم : تَسَمَّى باسم العلم (مُسَلِّم).

- تَمَنَطَق : لبس المنطقة أي الحزام.

- تَمَغْفَر : تَغَفَّر، اجتنى المغفور وهو صمغ حلوى.

- تَمَهْجَر : تَكَبَّر مع الغنى، من التَّمَهْجُر وهو التَّكَبُّر^(١٩).

- تَمَرَّفَق : إذا أخذ مرفقة وهي المخدة^(٢٠).

- تَمَعَّدَد : تزيياً بزي مَعَدَّ [القبائل] أو انتسب إليهم^(٢١).

(١٧) البعلي - المطلع على ألفاظ المنع ٢: ١٩.

(١٨) المقريزي - السلوك لمعرفة دول الملوك ٣: ٤٤٠.

(١٩) ابن منظور - لسان العرب: هجر.

(٢٠) الجوهري - الصحاح: رَفَقَ.

(٢١) ابن منظور - لسان العرب: عدد.

- تَمَحَّرَقَ : أظهر المَحْرَقَة وهي الحُمُق. والذي ورد في المعاجم هو (مَحْرَق) إذا أظهرَ الحُرْق وهو الحُمُق (٢٢).

- تَمَكَّنَ : عَلَتْ مكانته. وقد عدّه الجوهري مشتقاً من (الكون)، قال: «المكانة: المنزلة، وفلان مكين بين المكانة والمكان، والمكانة الموضع... ولما كثر لزوم الميم توهمت أصلية، فقليل تمكن [من المكانة] كما قالوا تَمَسَّكَن من المسكين» (٢٣).

- تَمَذَّقَ : «تَمَذَّقَ الماء: إذا أَجِن» (٢٤).

ولا بُدَّ من التنبُّه على أنه ليس كل فعل ملحق بالرباعي المزيد بحرف، وثانيه حرف ميم هو على بناء (تَمَفَّل). إذ لا يُعَدُّ كذلك إلا ما كانت الميم زائدة فيما اشتق منه هذا الفعل، سواءً أكان المشتق منه جذراً نحو (تَمَحَّرَق) من (مَحْرَق) أم اسماً مشتقاً نحو: تَمَسَّكَن من (مسكين) المشتق من (سكن). أما الأفعال المشتقة مِمَّا ميمه أصلية فلا تُعَدُّ على بناء (تَمَفَّل). والأفعال التي لا تُعَدُّ على هذا البناء نوعان:

أ- الأفعال التي اشتقت من جذر الميم أصل فيه، نحو (تَمَثَّم) من الفعل مَثَّ: رَشَح، فبناؤه على هذا (تَفَعَّل)، ونحو (تَمَلَّم) من مَلَّ، فبناؤه تَفَعَّل وليس (تَمَفَّل).

ب- الأفعال التي اشتقت من كلمات معرَّبة مبدوءة بميم، لأن تلك الميم تعدُّ أصلية في الكلمة، ذلك أن أحرف المعرَّب كلها أصول (٢٥) وعلى

(٢٢) الزبيدي - تاج العروس: محرق.

(٢٣) الجوهري - الصحاح: كيد.

(٢٤) ابن عباد - المحيط في اللغة ١: ٢٢٠.

(٢٥) الخفاجي - شفاء الغليل: ٢٣ - ود. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية: ٢٥٠.

هذا فلا يُعَدُّ على (تَمَفَّل) الفعل (تَمَدَّل) الذي ذكرت كل المعاجم أنه على (تَمَفَّل)، لأنه مأخوذ من كلمة (مِنْدِيل) المَعْرَبَة وميمها أصلية تقابل بالفاء، فيكون بناؤها (فَعْلِيل) وبناء (تَمَدَّل) هو تَفَعَّل.

٦) جواز القياس على بناء (تَمَفَّل):

ذكرنا أنه قد ورد على هذا البناء في المعاجم القديمة أحد عشر فعلاً، وفي كتب ما بعد عصر الاحتجاج خمسة أفعال، وأنه ورد عليه في المعاجم المعاصرة^(٢٦) خمسة وعشرون فعلاً، وأن عشرة أفعال شاعت في لغة الإدارة والإعلام، مثل تَمَدَّرَس وتَمَأَسَس وتَمَتَّرَس وتَمَفَّصَل، ولم تدخل المعاجم المعاصرة بعد. أي ثمة أكثر من خمسين فعلاً جاءت على هذا البناء الذي ما يني يزداد مع الأيام. وهذا ما دفعنا إلى البحث فيه وإلى النظر والتفكير في إمكان تجويز هذا البناء أو تقييسه. والذي أدَّى إليه التأمل والنظر أنه لا مانع من تجويز الاشتقاق على هذا البناء من الأسماء المبدوءة بميم زائدة، على غرار الأفعال التي ذكرناها آنفاً؛ وحجتنا في ذلك ثلاثة أمور:

الأول: أن المعاني التي يؤدِّيها بناء (تَمَفَّل) لا يؤدِّيها بناء (تَفَعَّل أو تَمَفَّل) اللذان رُجِّحا بديلاً لهذا البناء، كما مرَّ من قولهم: تَسَكَّنَ وأَسَكَّنَ بدل تَمَسَكَّنَ^(٢٧)، وكما ذُكر في اللسان من أنه يقال في اجتناء المغاير: «خرج الناس يَتَغَفَّرُونَ وَيَتَمَغَفَّرُونَ، مَنْ قَالَ مَغْفُورًا، قَالَ خَرَجْنَا نَتَمَغْفَرُ، وَمَنْ قَالَ مُغْفَرًا، قَالَ: خَرَجْنَا نَتَغَفَّرُ»^(٢٨) مع أن واحد المغاير هو: مُغْفَرٌ وَمَغْفَرٌ وَمُغْفُورٌ وَمُغْفَارٌ.. ولعله كان الأجل أن يُترك تَغَفَّرَ لارتعاء الغفر - وهو نبات ربيعي ينبت في السهل والآكام -

(٢٦) هي معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه، ومعجم متن اللغة للعالمي وكتاب إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي للأساتذة البواب ومراياتي والطيان ومير علم.

(٢٧) الأزهرى - تهذيب اللغة: سكن.

(٢٨) ابن منظور - لسان العرب: غفر.

وأن يَخْصَّصَ تَمَغْفَرَ لاجتناء المغاير. وبذلك يكون بناء (تَمَغَّل) لما هو مبدوء بميم و(تَفَعَّل) لما ليس كذلك. وهاكم أمثلة لما نحن فيه.

- تَمَطَّهَر: ويعني في العربية المعاصرة: اتَّخَذَ شكلاً أو مَظْهراً معيَّناً، كأن يقال: (تَمَطَّهَر التلوث البيئي بكثافة أدخنة المصانع). فهل يؤدي فعل (تَطَهَّر) ما يؤديه الفعل (تمظهر)؟ إذ الفعل تَطَهَّر يفيد مطاوعة ظَهَّر كما في قولهم (ظَهَّر الحاجة) إذا جعلها خلف ظهره، وكما في قولهم: (ظَهَّر الصورة) إذا بيَّنها وأظهرها على الورق، وواضح أن الدالتين مختلفتان وأن (تَفَعَّل) لا يؤدي الدلالة المقصودة من (تَمَغَّل).
- تَمَحَوَّر: ويعني في العربية المعاصرة: دار حَوْلَ أمر أو حَدَث، كما في قولنا: (تَمَحَوَّر الحديث حول أزمة النقل)، وهو مشتق من الاسم (مَحَوَّر). فهل يؤدي هذا المعنى فعل (تَحَوَّر) الذي معناه الأصلي تغيَّر وتبدَّل اشتقاقاً من (حَار)؟ والجواب لا.
- تَمَفْصَل: يعني في العربية المعاصرة: ارتبط واعتلق بغيره متشابكاً، كما في قولنا: (يتمفصل الذراع مع الكتف). فهل يؤدي هذا المعنى فعل (تَفَصَّل) الذي هو في المعاجم العربية مطاوع (فَصَّل) أي أن يصير الشيء فُصُولاً متميِّزة أو مبيِّنة أو مُجَزَّاة، كما في قولهم: فَصَّلَ القول في المسألة فتَفَصَّلَ؟
- تَمَرَّكَز: وهو يعني: أقام في مَرَكَزٍ أو مَوْقِعٍ، كأن يقال: (تمركز الجيش خلف التلال)، فهل يغني عنه فعل (تَمَرَّكَز) الذي لم تورده المعاجم القديمة أصلاً، أما المعاجم الحديثة فأوردت له معنيين هما ثَبَّت أو اسْتَقَرَّ، وتكثَّف. ومع أن المعاجم أوردت له معنى ثبت واستقرَّ، إلا أن المعنى الدقيق المعاصر له أكثر من الاستقرار والثبات، لأن تَمَرَّكَزَ الجيش لا يعني الثبات والاستقرار

فحسب، بل التوضُّع في أماكن مناسبة للجيش محدَّدة.

- تَمَدَّرَس: ويعني: انتسب إلى مدرسةٍ وتَلَمَّذ فيها. فهل يؤدي هذا المعنى فعل (تَدَّرَس) أو يُعني عنه؟ الجواب: لا، لأن لهذا الفعل الأخير دالتين أُخرَيَيْن هما: مطاوعة (دَرَس)، ولُبْس الدَّرِيس وهو الحَلَق البالي من الثياب.
- تَمَدَّيْن: يعني في الاستعمال اللغوي المعاصر العَيْش في (المدينة) والأخذ بعاداتها ومفاهيمها. فهل يُعني عنه فعل (تَمَدَّن) الذي يعني أنه صار مدنياً متحضراً اشتقاقاً من (المدنيَّة) التي تعني - فيما تعنيه - الحضارة؟ فقد يعيش الإنسان في المدينة ولكنه قد لا يكون متحضراً.
- تَمَتَّرَس: يعني في الاستعمال اللغوي اليوم الاحتماء بأية وسيلة كالدُّشَم وأكياس الرَّمَل أو القلاع وهو اشتقاق من المِتَّرَسَة وهي كلُّ ما يُتَوَقَّى به سواءً أكانت تُرْساً أم غيرها. أما تَتَّرَس فهو اشتقاق من التَّرْس الذي هو السِّلَاح المعروف المتوقَّى به، وهو المِجَنّ، أو لوحٌ من الحديد ونحوه يَحْمِي من السيوف والرماح، وبهذا يظهر فرق دلاليّ، إذ التَّتَرَس هو التوقِّي بالتَّرْس، أما التَّمَتَّرَس فهو التوقِّي والاحتماء بأية وسيلة، أداةً كانت أم بناءً، وهو تنويع دلاليّ مفيد.

ولعل هذا التنويع الدلالي والدقّة الدلالية هي ما رمى إليه المتقدمون إذ ورد في تاج العروس: «تَدَّرَعِ مِدْرَعَة وادَّرَعِها وتمدَّرَعِها، تحمَّلوا ما في تبقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق توفيةً للمعنى وحراسةً له ودلالةً عليه، ألا ترى أنّهم إذا قالوا: (تَدَّرَعِ)، وإن كانت أقوى اللغتين، فقد عَرَّضُوا أنفسهم لثلاث يُعرف غرضهم أمن الدَّرَع هو أم من المِدْرَعَة» (٢٩).

الثاني: يمكن حمل معظم الأفعال المولدة - إن لم نقل كلها - على ما ورد من لغة عصر الاحتجاج في المعاجم التراثية. وعلى سبيل المثال:

١ - جاء فيها: «تمنطق إذا لبس المنطقة أي الحزام» ألا يمكن أن يحمل عليه (تَمَعَطَفَ) إذا لبس المعطف، أو تَمَيَّدَعَ إذا لبس الميَّدعة؟ وذلك لإفادة معنى اللبس أو الاتخاذ.

٢ - وجاء فيها: «تَمَسَّكَنَ: صار مسكيناً»^(٣٠). وهو من المسكنة والمسكين. وهي دلالة على الحالة أو الهيئة، ويمكن أن يُحمَل عليه كل فعل يُشتق من اسم بميم زائدة، نحو: (تَمَشَّيخَ) إذا صار شيخاً أو ادَّعى ذلك، اشتقاقاً من المَشْيَخَة جمع شيخ، ونحو (تَمَرَّقَعَ) بمعنى تَسَكَّعَ وتهامل في عمله، أخذاً من (المَرَّقَعَان) وهو الأحمق.

٣ - وجاء فيها: «تَمَسَّلَمَ أي تَسَمَّى بمُسلم»^(٣١)، بل زاد في (المحيط في اللغة): «وكان كافراً ثم تَمَسَّلَمَ أي أسلم»^(٣٢) وهو اشتقاق من الصفة (مُسَلِّم). ألا يمكننا أن نحمل عليه تَمَنَّدَرَ إذ تَسَمَّى بمنذر، وتَمَزَّهَرَ إذ تَسَمَّى بمُزْهَر، وتَمَنَوَّلَت إذ تَسَمَّت بمنال؟

٤ - وجاء فيها: «تَمَعَّدَدَ إذا انتسب إلى مَعَدٍّ أو تزيّاً بزِيَّهم»^(٣٣). ألا يمكن أن يحمل عليه: (تَمَعَّرَبَ) إذا انتسب إلى أهل المغرب أو تزيّاً بزِيَّهم، و(تَمَشَّرَقَ) إذا انتسب إلى المشاركة وأخذ سمتهم. أو (تَمَنَوَّفَ) إذا

(٣٠) الأزهري - تهذيب اللغة: مسكن.

(٣١) الفيروزبادي - القاموس المحيط: سلم.

(٣٢) ابن عباد - المحيط في اللغة: لمس.

(٣٣) الجوهري - الصحاح: عدد.

- انتسب إلى (المنوفية) أو تطبّع بطباع أهلها؟
- ٥ - وجاء فيها: «خرجنا نَتَمَغَّرُ وخرج الناس يَتَمَغَّرُونَ»^(٣٤) إذا ذهبوا لاجتناء المغفور. ألا يمكن أن يحمل عليه (تَمَغَّرَد) إذا اجتنى (المغزود) وهو نوع من الكمأة.
- ٦ - وجاء فيها: «تَمَرَّفَق: اتَّخَذَ مِرْفَقَةً وهي المَخَدَّة»^(٣٥). ألا يمكن أن يحمل عليه قولنا (تَمَتَّرَس) أي اتخذ متراساً يقيه القذائف ونحوها، أو (تَمَرَأَى) إذا نظر إلى شخصه في المرأة. ومن الغرابة ألا تذكر المعاجم القديمة الفعل (تَمَرَأَى) على مسيس الحاجة إليه.
- ٧ - وجاء فيها: «تَمَهَّجَرَ: تَكَبَّرَ مع الغِنَى»^(٣٦) وهو للدلالة على حالة أو هيئة. ألا يمكن أن يحمل عليه فعل (تَمَنَّفَخَ) بمعنى أظهر النَّفْخَةَ والتَّنْفِجَ أخذاً من اسم الأداة (مِنْفَاخ) التي تنفث الهواء في وعاء مَطَّاطِيٍّ فيكبر ويبدو على غير شكله الحقيقي.
- ٨ - وجاء فيها: «المكان والمكانة الموضع: ولما كثر لزوم الميم توهمت أصليته، فقيل: (تَمَكَّنَ) كما قالوا من المسكين: تَمَسَّكَنَ»^(٣٧). ألا يمكن أن يقاس عليه: تَمَوَّضِعَ من الموضع وتَمَوَّعَ من المَوْعِ، وتَمَرَّكَزَ من المركز؟
- الثالث: يمكن حَمْلُ بِنَاءِ (تَمَفَّعَل) على بِنَاءِ (تَفَعَّل) في المعنى، وهو الدلالة على ملابسة الاسم المبدوء بميم زائدة؛ فما داموا قد قالوا: تَسَكَّنَ وتَمَسَّكَنَ

(٣٤) ابن منظور - لسان العرب: غفر.

(٣٥) المصدر السابق: رفق.

(٣٦) المصدر السابق: هجر.

(٣٧) الجوهري - الصحاح: كيد.

وَتَدْرَعُ وَتَمْدَرَعُ^(٣٨) لملابسة المسكين أو المدرعة، فليس بعيداً من الصواب أن نردَّ معظم الأفعال المحدثّة التي جاءت على هذا البناء إلى ملابسة ما اشتقت منه من الأسماء المبدوءة بميم زائدة، كأن نحمل عليها مثل (تَمَطَّهَر) إذا لابس مظهرًا معينًا أو (تَمَشَكَلَ) إذا لابس مشكلاتٍ مع الناس.

على أنه يجب التنبُّه على أنه لا يصح الاشتقاق على هذا البناء دون مسوِّغٍ دلالي مُلِحٍّ، فلا لزوم لأن يقال مثلاً (تَمَبَّنَى) أخذًا من (مَبَّنَى) لأن فعليَّ بَنَى أو ابتنى يُجْزئان، ولا أن يقال (تَمَكْسَر) من (مَكْسَر) لأن فعليَّ انكسر وتكسَّر يغنيان عنه.

(٧) طبيعة هذا النوع من الاشتقاق:

اختلف اللغويون - قدماء ومحدثين - في طبيعة هذا النوع من الاشتقاق. وما أوقعهم في ذلك هو اعتقادهم أن الاشتقاق يكون من الجذر فعلاً أو مصدرًا. ولما كانت الميم في هذه الأفعال ليست في جذور ما اشتقت منه نحو تَمَسَّلَمَ وجذره (سلم)، و تَمْدَرَعَ وجذره (درع)، فقد حاروا في تعليل هذا النوع من الاشتقاق وانقسموا في ذلك ثلاثة مذاهب:

أ- يذهب ابن جنى في تعليله إلى حرصهم على دقَّة الدلالة، وذلك «لما في تبقية الزائد مع الأصلي في حال الاشتقاق منه من توفية للمعنى وحراسة له ودلالة عليه»^(٣٩). وتظهر أهمية كلام ابن جنى في إشارته إلى أن هذا الاشتقاق هو (لتوفية المعنى وحراسته) أي إن الاشتقاق من الجذر في مثل سكن كأن نقول: أَسَكَنَ وَتَسَكَّنَ اللذين اشتقا من الأحرف الأصلية لا يؤدي المعنى المراد من فعل (تَمَسَكَنَ) الذي اشتق من الاسم الصفة (مسكين) بحروفها الأصلية والزائدة معاً.

(٣٨) ابن الحاجب - الشافية في علم التصريف ١: ١٨.

(٣٩) ابن جنى - الخصائص ١: ٢٢٨.

ب- وذهب بعضهم إلى أنه جرى على مقولة (بناء اللغة على التَّوَهُّم) أي تَوَهُّم حرف الميم في نحو (مِسْكِين) حرفاً أصلياً، في حين أنه حرفٌ زائد، وهو ما ركّنت إليه لجنة الأصول في مجمع القاهرة في مثل هذا الاشتقاق، إذ جاء في قرارها: «رأت اللجنة في ضوء ما أثار عن اللغويين أنّ تَوْهُم أصالة الحرف الزائد أو المتحوّل، لم يبلغ درجة القاعدة العامة، غير أن هذا التوهُم ضربٌ من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون، ودعمها المحدثون. ولهذا ترى اللجنة أن في وسع المجمع أن يقبل نظائر هذه الأمثلة الواردة على توهُم أصالة الحرف الزائد أو المتحوّل مما يستعمله المحدثون إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة»^(٤٠).

ج- ويذهب بعضهم الآخر إلى أن هذا النوع من الاشتقاق هو من سُنَن العربية، ويرفض مقولة البناء على التوهُم، لأن التوهُم عنده يعني الخطأ والسّهو، واللغة لا تُبنى على ذلك، لأن «بناء اللغة على التوهم أو الخطأ يعني انحراف السلائق عن قانونها النفسي الذي يحكمها، وتجري عليه صورها الاشتقاقية أطراداً على نسق معيّن»^(٤١).

والذي نراه أن هذه الأفعال - الاحتجاجي منها أو المولّد - جاءت على بناء (تمفعّل) بطريقة (الاشتقاق من المشتق) أو (الاشتقاق المركّب) إن صحّت التسمية، لا من الجذر، وهذا من أشكال الاشتقاق في العربية.

ومن الأمثلة على ذلك أن العرب قالت: (سَلَطَن) اشتقاقاً من الاسم المشتق (سلطان)، «قال الأزهري... والنون في السلطان زائدة لأن أصل بنائه

(٤٠) مجمع اللغة العربية بالقاهرة - كتاب في أصول اللغة ١: ٤٤.

(٤١) محمد بهجة الأثري - كتاب في أصول اللغة لمجمع القاهرة ٣: ٣٢٨.

السليط... وقال الزجاج: والسلطان إنما سُمِّي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه، قال: واشتقاق السلطان من السليط»^(٤٢). ولا شك في أن (ارتبع) هو اشتقاق من (الربيع) الفصل المعتدل المعروف، لا من الجذر (رَبَعَ) على اختلاف معانيه وهي: وَقَفَ وانتظر، وتَجَسَّسَ وَرَفَعَ وَوَرَدَ الماء في اليوم الرابع... ولا شك أيضاً في أن (تَحَزَّبَ) فعل مشتق من الاسم (حزب) لا من الجذر (حزب).

وثمة نص صريح في لسان العرب على أن اشتقاق الفعل - ولو كان ثلاثياً - يمكن أن يكون من اسم أداة مشتق مبدوء بميم زائدة، جاء: «وفي الحديث (من نَجَلَ الناس نَجْلُوهُ)، أي من عاب الناس عابوه ومن سَبَّهم سَبُّوهُ، وقَطَعَ أعراضهم بالشم كما يقطع المِنْجَلُ الحشيش»^(٤٣). وواضح أن الفعل (نجل) بهذه الدلالة أخذ من اسم الأداة المشتق (منجل) وإذا اشتق الثلاثي كذلك، فغيره بالأولى.

٨) النتيجة:

نخلص من كل ما تقدم من البحث إلى أنه يمكن أن يُجاز صوغُ أفعال على بناء (تَمَفَّل) من الأسماء المبدوءة بميم زائدة، على طريقة العرب في الاشتقاق من المشتق أو الاشتقاق المركب، ولكن بشرطين:

الأول: أن يُدرَس كل فعل على حدة عند شيوعه أو عند الضرورة المصطلحيَّة، وألَّا يُقرَّر لمجرد الشيوع.

الثاني: أن يودِّي هذا البناء دلالةً مغايرةً لدلالات بناءي (تَفَعَّلَ وَتَفَعَّلَل) ونحوهما.

اللهم علِّمنا ما ينفع وأنفع بما علمتنا. ■

(٤٢) ابن منظور - لسان العرب: سلط.

(٤٣) ابن منظور - لسان العرب: نجل.

المصادر والمراجع

- أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج - د. مسعود بوبو - وزارة الثقافة - دمشق (١٩٨٢).
- إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي - مروان البواب ومحمد مرياتي ومحمد حسان الطيّان ويحيى ميرعلم - مكتبة لبنان - ناشرون (١٩٩٦).
- أعلام النبوة - أبو حاتم الرازي - تقديم صلاح الدين الصاوي (عن المكتبة الشاملة الإلكترونية).
- تاج العروس - الزبيدي.
- تهذيب اللغة - الأزهرى - (عن موقع الوراق الإلكتروني).
- جامع الدروس العربية - الغلابيني - المطبعة العصرية - بيروت - ط ١٢ (١٩٧٣).
- الخصائص - ابن جنّي - تح محمد علي النجار - عالم الكتب - بيروت (د.ت).
- ديوان الأدب - الفارابي - تح د. أحمد مختار عمر - منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٧٤).
- السلوك لمعرفة دول الملوك - المقرئزي - (عن موقع الوراق الإلكتروني).
- سير الأعلام - ابن تيمية - مقدمة المحقق (عن المكتبة الشاملة الإلكترونية).
- الشافية في علم التصريف - ابن الحاجب - تح: أحمد حسن النعمان - المكتبة المكية - مكة - ط ١ (١٩٩٥).
- شذا العرف في فن الصرف - الحملاوي - ضبط وتعليق علاء الدين عطية

- مكتبة دار البيروتي - دمشق - ط ٥ (٢٠٠٢).
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الخفاجي - تح: عبد المنعم الخفاجي - القاهرة (د.ت).
- الصحاح - الجوهري - تح: أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٤ (١٩٩٠).
- الضوء اللامع - السخاوي - منشورات مكتبة الحياة - بيروت (د.ت).
- في أصول اللغة - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة (١٩٦٩)، بتقديم د. أحمد مختار عمر - القاهرة - ط ١ (٢٠٠٥).
- القاموس المحيط - الفيروزآبادي - المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- لسان العرب - ابن منظور - دار المعارف - مصر.
- المحيط في اللغة - ابن عباد - (عن موقع الوراق الإلكتروني).
- مختار الصحاح - أبو بكر الرازي - مكتبة لبنان - ناشرون - بيروت (١٩٩٥).
- المخصّص - ابن سيده - تح: خليل إبراهيم جفّال - دار إحياء التراث العربي - بيروت - (١٩٩٦).
- المستقصى في علم التصريف - د. عبد اللطيف الخطيب - مكتبة دار العروبة - الكويت - ط ١ (٢٠٠٣).
- معجم اللغة العربية المعاصرة - د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب ط ١ (٢٠٠٨).
- النحو الوافي - عباس حسن - دار المعارف - القاهرة - ط ٣.
- الوافي بالوفيات - الصفدي - (عن موقع الوراق الإلكتروني).